رحلة في ثنايا الروح

عن حياة وشهادة السيد عباس الموسوي

نغم منير ناصر

دار الهادي

رحلـة

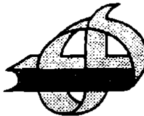
في ثنايا الروح

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

نغم منير ناصر - سوريا - اللاذقية - ص.ب: ٣١٨٥

naghamnasser@hotmail.com



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

رحلــة في ثنايا الروح

عن حياة وشهادة السيد عباس الموسوي

نغم منير ناصر

حائز على جائزة في مسابقة العلماء الشهداء

الوحدة الثقافية ـ حزب الله

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــداء

إلى من أهدى الحق شهادة ولاء خُطت بدمائه الزكية

سيد شهداء المقاومة الإسلامية

عباس الموسوي

إلى الشرفاء.. كل الشرفاء.. منذ الأزل وحتى الآن

ولآخر الزمان

أهدي رحلة في ثنايا الروح

نغم منير ناصر

تقـــديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين سيدنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

سيدي أبا ياسر يا حبيب العمر، يا صفاء الفؤاد ويا دمعة المقهورين، يا حاضراً أبداً في عقولنا وقلوبنا وضمائرنا ما حيينا.

سيدي يا أبا ياسر شهادتك وعدٌ ووفاء بالوعد، وصية وترجمة للوصية، حُلُمٌ تحقق وتحقيقٌ للحلم، فأنت الطالِبُ شهادة قلَّ نظيرُها، فكان لك ما أردت يا شهيد الله، أيها العظيم في شهادته والعطاء.

فإن دمك سيدي فيه عَبقٌ من كربلاء، وكيف لا، وأنت حفيد الإمام الحسين عليه السلام، وقد جسَّدت نهج

الحسين جهاداً متواصلاً في حياتك إلى يوم استشهادك وارتفاعك إلى مقامٍ أمين.

سيدي ها هي مقاومتك التي حفظتها بدمك ودمِ أُم ياسرٍ وحُسَين، وكانت وصيتك الأساس تُقدِّم لك نصراً تلو نصر عربون وفاء لدمك ودماء جميع الشهداء.

سيدي أبا ياسر إني لأجدُ الحديثَ عنك عذباً سيما أنه يعود بي إلى سنين خلت عشنا في كنفك وتحت رعايتك، حُزناً فيها على عطفك وحنانك، عندما تراودني تلك الذكريات، أقول حبّذا لو تجاوزت سِنيّك الأربعين لكنَّا نعِمنا بالمزيد من عنايتك ولَنَهلنا من نبع زُهدِك وطهارتك، لكن ماذا عسانا نفعل إن كُتِب علينا الحرمان منك، إلاَّ أن ما يُنسينا آلامنا هو شعورنا بالشموخ عند ذكر مزاياك وفضائلك، فرغم سنوات عُمرك القصيرة نَجدُ سيرتك مفعمةً بالعطاء والتضحية، بالزهد والتواضع، بالنضال والعزيمة.

فحريٌ بهذه السيرة أن تُخط وتُحفَظ في كتابٍ يكون مرجعاً للأجيال التوَّاقة إلى الجهاد والشهادة.

فكانت سيرةٌ ضِمنَ سطور اختطت بوجدانية تحكي

لسان حالي، وما كُنتُ لأكتُبَ أفضل منها فقد صيغت من منبعٍ صادقٍ أدعو الله العلي القدير ليجزي أُختنا العزيزة نغم منير ناصر أضعاف عملها ويوفقنا وإياها لنقتدي بسطور هذا الكتاب.

والحمد لله رب العالمين

ياسر السيد عباس الموسوي

في شباط.. عندما يستيقظ الفجر ويدرك الليل نائماً على شرفة الصباح.. يهدي الأرض السلام ويخطو خطى واثقة نحو رياض الله..

يغسل وجهه بدموع السماء الندية.. يتحضر لفراق الأحبة فبعض أولئك الذين يرحلون حتى الصبح عاجز عن إكساء حلة الفراق ببهجة ألوانه.. فكيف الحال إذاً والراحل هو السيد عباس سيد شهداء المقاومة الإسلامية وأمينها العام.

عباس الموسوي حفيد رسول الله.. حفيد علي.. حفيد الحسين.

في ذكرى رحيله تحضرني الأجواء الكربلائية فزمن عاشوراء هو كل زمان وكربلاء هي كل أرض ارتوت بدماء الشرفاء. في ذكرى رحيلك يا أبا ياسر اسمع العباس قمر بني هاشم يقول:

لا أرهـب الـمـوت إذا الـمـوت زقـا

حـتـى أوارى فـي المصـاليت لـقـى

نفسي لسبط المصطفى الطهر وقى

إني أنـا الـعـبـاس أغـدو بـالـسـقـا

ولا أخـاف الـشـر يـوم الـمـلـتـقـى

نعم هذا ما كان ينادي به العباس فأهل بيت الحسين عطشى والحسين ظمآن وأخوه العباس وفيٌّ.. شجاع.. نبيل.

أسرع يأتيهم بقربة ماء تروي ظمأهم فكانت شهادته المباركة التي ارتوت بأريجها كل أرض كربلاء. مني السلام يا أبا عبد الله.. كان آخر ما نطق به العباس قبل استشهاده تلك الكلمات.. باتت ينبوع يستقي منه تلامذة الحق دروساً في التضحية والاستشهاد إلى ما شاء الله والسيد عباس حمل الأمانة.. ووفى بالعهد.

في السادس عشر من شباط عام ١٩٩٢ كانت الوفود التي أمّت جبشيت بلدة الشهيد راغب حرب تجدد العهد لشيخ المجاهدين الذي اغتالته أحقاد الصهاينة بكل وحشية منذ سنوات.. كانت الأيادي ترتفع عالياً لتعلن من جديد بأن المصافحة اعتراف.. وكانت تلك النفوس الأبية

المنتشرة في البلدة وفي طرقاتها وعلى أطرافها تشدو بمواقف تتحدى بها كل طواغيت العالم..

الموقف سلاح والمصافحة اعتراف تلك الكلمات النيّرة التي أطلقها الشيخ راغب حرب باتت عنواناً للمقاومة الإسلامية التي تبنتها مبدأ من مبادئها ولأن الأمين كان أميناً على حفظها شارك في مهرجان الوفاء لأنه كان وفياً كجده أصر على الحضور بالرغم من خطورة مشاركته.. لم ترهبه كل أسلحة الصهاينة.. وكل أجهزتها الاستخبارية في الجنوب.. ألقى كلمة ما زال صداها يتردد حتى الآن.

زار ضريح شيخ المجاهدين.. وفي طريق العودة لبى دعوة جده، لبى دعوة أحبائه.. هناك في جنان الخلد كان الجميع مشتاقاً.

عندما عجز الصهاينة عن اغتياله من الأرض اغتالوه من السماء وما درى الجاهلون أنه بشهادته مُنِحَ رياض الأرض وسمائها.

كان السيد عباس ينادي سلام مني إليك يا أبا عبد الله.

اشتاق أبو ياسر لجده فرحل إليه مصطحباً معه زوجته وطفله الصغير حسين.

لطالما راودتني الأمنيات لو كنت معهم في رحلتهم المباركة تلك.

في كل يوم كنت أشتاق لهم.. لأبي.. لأمي.. لحسين ولكني كنت يوماً بعد يوم أفلح في حل غموض هذه الدنيا الفانية وأحاول أن أخطو خطاك يا سيدي.

والدي العزيز:

بات شباط حزيناً.. كئيباً.. خجولاً.

فشباط ذلك الشهر الذي اعتاد أن يهدي الأرض نسمات الربيع الأولى غادر الربيع في أيامه.

يذكر شباط يا والدي أنه ما لبث يتعافى من جراح أدمت يومه السادس عشر في عام ١٩٨٤ حتى عاودته جراحه في اليوم نفسه عام ١٩٩٢ منتفضة.. متدفقة كشلال أذن له أن يتدفق سخياً في تلك الأيام من كل عام.

أكبر عاماً بعد عام وأدرك حجم المسؤولية التي أحمل فوالدي عالم.. شهيد.. أمين وبالرغم من حجم

المسؤولية في خط النهج ذاته إلا أني أستمد من تلك الأوسمة الإلهية قوة تمنحني سمو الروح في كافة المجالات.

ربما يعتقد البعض أن من يفقد عزيزاً وهو صغير لا يشعر بمرارة فراقه.. لطالما كانت هذه الرؤية خاطئة. لقد ترعرعت في كنف أغلى الأحبة، لم أكن أشهد الفجر مرة واحدة في اليوم بل كنت أشهده مراراً وتكراراً كلما تبسم السيد عباس..

لا أذكر أني رأيته غاضباً، كانت تلك البسمة المكتحلة بنور الإيمان تخفي حزنه كي يشعر من حوله بالطمأنينة. في هذه الدنيا كثيرون هم الذين ينجحون في الوصول إلى هدفهم ولكن ما عدد أولئك الذين يسخّرون حصاد دنياهم لخدمة كل مستضعف غدرت به الدنيا فتركته على قارعة الطريق.. ما عدد أولئك الذين يضيئون بعطائهم الظلمات ليبصر المظلومين ويخطوا خطى واثقة عبر دروب هذه الحياة الموحشة إلى ديار الحق.. ديار كل مظلوم.

نعم لقد كنت صغيراً ولكني كنت أدرك أي الرجال

والدي.. لا زلت أذكر تلك الأيام التي كنت أنتظر فيها عودته إلى المنزل.

كنت أدعو الله كي يعيده سالماً وفي كل مرة كان يسلبني النوم الانتظار لأستيقظ صباحاً ويده الكريمة تداعب جبيني، لأعلم فيما بعد أنه قضى ليلته تلك في تأدية واجب علمي أو اجتماعي أو جهادي فهو إما برفقة العلم أو العلماء أو مع المجاهدين في خنادقهم أو بين المظلومين الذين يقصدونه ويقصدهم ليشكوا له مشاكلهم وليفرج عنهم همومهم.

نعم كنت صغيراً ولكن سماته المباركة لم تخف عني.. كانت حاضرة في كل المواقف التي تيسّر لي أن أكون شاهداً عليها.. وكم من الشهود غيري بلسموا جراح الفراق بعذب الحديث عنك أيها الغالي.. حدثوني كثيراً عنك يا أبا ياسر.. حدثوني عن الصفات التي أهلتك لتكون نعم القائد والأمين.

- نعم يا بني نحن نفتقده فنعم الصديق ونعم الأخ..

كنا أعز أصحابه في هذه الدنيا. كان يسمو بنا وكنا نسمو به.

كنا ننير له دروبه بالمقابل كان ينير دروب الآخرين بنا.

فمن كان الجهاد والعلم وحسن الخلق أصدقاؤه فهو لا بد منارة للآخرين يهتدون بها إلى ديار المعرفة والخير والتقوى.

يتابع حسن الخلق كلامه فيقول: قصتي معه طويلة بدأت منذ طفولته فذلك السيد الصغير كان متميزاً بالرغم من حداثة سنه، كان الصبية في عمره يتسابقون للعب بينما كان يفضل البقاء جانبي.. فكان يصغي إليّ تارة وتارة أخرى يدهشني بأسئلة تكبر عمره وترسل بشائر خير وذكاء يلحظها جميع المحيطين به.

يقول الإمام علي عليه السلام: مكارم الأخلاق عشر خصال:

«السخاء والحياء والصدق وأداء الأمانة والغيرة والشجاعة والحلم والصبر والشكر والسيد كان سيداً في كل هذه الأمور.

أما السخاء فالحكايا معه تطول.. كان سيد شهداء

المقاومة الإسلامية سخياً كينبوع لا ينضب. نعم عاش زاهداً لإسعاد غيره. كان السخاء رفيق دربه في كافة مجالات الحياة فأن نعيل الآخرين في النواحي المادية شيء وأن نعيلهم في النواحي المعنوية شيء آخر فكل منا قادر على أن يمنح الآخرين ما يشبع ولو جزء بسيط من حاجاتهم المادية ولكن أين هم أولئك الذين يسخون بابتسامة وقلوبهم يملؤها الحزن.. كانت الابتسامة لا تفارق وجهه النير بعشق الله والجهاد في سبيله.. لذلك منح الآخرين عطاءً معنوياً لا محدود يقيهم ظلمات الدنيا والآخرة فذلك العالم الجليل أنار قلوب العطشى والمظلومين بعلمه الوافر فنهجه نهج آل البيت في خلقهم وزهدهم فأمير الأحرار علي عليه السلام يقول: «أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر وأكون أسوة حسنة في جشوبة العيش».

والسيد عباس كان يخطو خطى جده ويؤثر الآخرين على نفسه فعندما استشهد ترك ديوناً تصل إلى عشرة آلاف دولار أنفقها على حب الله مسكيناً ويتيماً وأسيراً. فسخاؤه شمل كافة الأصعدة فالعطاء المادي يشوبه الضعف والشح

إن لم يكتمل بعطاء الروح الذي لا يتوافر إلا عند من خصّهم الله برحمة وتقوى.. وللحياء محطات كثيرة في حياة سماحته أيضاً.

فالحياء ذاته وقف خجولاً عاجزاً أمام تواضع السيد عباس وسمو مبادئه.. كان من عباد الرحمن الذين خصهم الله بآيات كريمة تصف تواضعهم وحياءهم فمواقف كثيرة تشهد لأبي ياسر بذلك فمعاملته للمجاهدين أشبه بمعاملة الوالد لأبنائه الأعزاء.. لطالما أطعم رياحين المقاومة وجرحاها بيديه الطاهرتين.. لطالما شعر بالحياء منهم ومن تضحياتهم المباركة عندما كانت يده تمتد لإطعام أحدهم كنا نلمح في عينيه سُحباً توشك أن تمطر إجلالاً لأولئك الشرفاء، كنا نشهد في زياراته المستمرة لأسر الشهداء والأسرى تدفقاً لمشاعر التضامن والعنفوان والوفاء والتواضع الذي امتد ليشمل حرسه الخاص.

يروي أحد مرافقي السيد عباس رضوان الله عليه أنه في إحدى زيارات سماحته لمرشد الثورة الإسلامية السيد علي الخامنئي انتظره خارج مجلس قائد الثورة مع سماحته وما هي إلا دقائق حتى فوجىء بمن يسأله الدخول قائلاً:

ألست ابن السيد عباس الموسوي، والدك أرسل في طلبك.

يتابع مرافق السيد عباس فيقول: لقد كان يعاملنا كأبنائه، لقد كان يخاطبنا دائماً كما يخاطب الأب ابنه، كان يساعدنا في بعض الأعمال التي كنا نقوم بها أثناء تواجدنا في مناطق معينة تفرض علينا الاعتماد على أنفسنا كتحضير الطعام وما شابه.. إنه سيد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى شريف فالتواضع والحياء نصّباه سيداً على عرش ثمين ألا وهو محبة وثقة الناس به.

كنت أصغي لحديث صديق والدي وهو يقص عليّ تلك السنوات التي أمضاها برفقته. كنت أصغي إليه وشوق كبير يغمرني إليك يا سيدي.

تمضي الأعوام سريعاً ولكن لا تمضي معها ذكراك الباقية بنبض الفؤاد.. أدنو إلى تلك الأيام تارة وتارة أخرى إلى هذه الأيام التي حفظت وصيتك بحفظ المقاومة وضمان استمرارها.

هنا يقاطعني حسن الخلق قائلاً: اسمح لي يا بني أن أشاركك شوقك هذا وبأسك باستمرار المقاومة وحفظ

الوصية. أما عن شوقك فأنت محق.. أحنُّ أيضاً لمجلسه ولكني في الوقت ذاته أشهد في استمرار المقاومة الصدق وأداء الأمانة التي زرعها سيد الشهداء براعم أثمرت وفاء للعهد وللوصية. لذلك أشعر بأن أبا ياسر حيٌّ في نفوس أولئك المجاهدين الذين خطوا النهج ذاته وما بدلوا تبديلاً.

فقد تركت كلماته الطيبة الأثر الكبير على نفوس المجاهدين والمظلومين والمستضعفين.

كانت بمثابة البلسم الشافي لهمومهم ومشاكلهم.

لا زلت أذكر تلك العبارة الكريمة التي كان يرددها لأولئك الشرفاء.. كان يقول: إني بخدمتكم ولكن وصيتي الأساس هي حفظ المقاومة.. لم يكن كلامه مجرد قول أو لغو بل اقترن بالفعل الذي زكّى نفوس أولئك المستضعفين فبادلوا سيدهم الصدق بأداء الأمانة فحفظوا المقاومة التي أهدتهم التحرير والنصر في الرابع والعشرين من أيار عام ٢٠٠٠ وما زالوا صامدين وأوفياء للعهد ليثبتوا بأن الدم سينتصر مجدداً على السيف.

والدي أحمد الله على تلك الروح الجهادية التي

زرعتها في تلك النفوس الأبية ولا عجب في ذلك، ففي كل محطة من محطات حياتك أشتم عبق وأريج كربلاء.

لقد كان الحسين عليه السلام يؤمن بأن دمه سيغدو شعلة الحق التي لن تنطفىء طالما على هذه الأرض يحيا أتقياء يهدون جسدهم وقوداً لهذه الشعلة حتى يجيء صاحب الأمانة الإمام المهدي (عج) ويعلن بأن الوقت قد حان حتى يهنأ الحق بدار يرتفع فيها صدى الخير على جبروت الظلم والطغيان لتمسي كل آلام المستضعفين والمؤمنين صدى يتعقب مسيرة كل مستبد وينذره ببئس المصير.

لم تكن يا سيدي حداثة سني حاجزاً يمنعني من استيضاح مثل هذه الأمور..

كان عناقك لي كافياً لأدرك أي الرجال أنت.. كانت كلماتك الطيبة نبراساً يخفق في عروقي ويهديني الأمان في حضنك الدافىء.. لم تكن لترهبني أشد المواقف رعباً وأنت إلى جانبي.. يكفي أن أنظر إلى عينيك المغسولتين بقطرات السماء الندية لأطمئن وأشعر بأن الله قريبٌ يحرسني بحنانك الذي كنت تحيطني به.

لم يقتصر هذا الشعور عليّ فقط بل كان يشاركني به كل

من عرفك عالماً مجاهداً وأباً وأخاً عطوفاً . . ففي الحوزة العلمية التي أنشأتها في بعلبك لم تفلح غارات الطيران الإسرائيلية في هذه المنطقة عن ردعك من المثول في الحوزة لأداء الأمانة العلمية بل زادتك هذه الغارات ثباتاً لشحذ الهمم وبث الروح الجهادية للطلاب الذين عايشوا الأمان والطمأنينة بوجودك معهم رغم خطورة التواجد في هذه الحوزة المستهدفة من قبل أعداء الله.

لم تكن شجاعتك حاضرة فقط في ميدان العلم بل انتقلت أيضاً إلى ميادين الجهاد فكنت رفيق المجاهدين في خنادقهم ومثال البأس والغيرة أمام حاجز باتر الذي أقامه الأعداء ليفصلوا به الرأس عن الجسد ولكن هيهات فها هي ثلة من العلماء والمجاهدين يتقدمون بقيادتك يا أبا ياسر إلى هذا الحاجز لينتقلوا منه إلى بلدة جبشيت ليشاركوا أهلها العزاء والفخر باستشهاد شيخ المجاهدين الشيخ راغب حرب.

أمام عدد من جنود العدو تقدم السيد وبالرغم من الرصاص الذي انهمر بقرب قدميك يا سيدي أكملت المسير فكل شرور الأرض لن تمنع الأتقياء من إلقاء تحية الوداع على أولئك الشرفاء أمثال شيخ المجاهدين وبهذه

الروح الجهادية مضى سيد الرجال نظر في عيني ذلك الجندي المذهول الخائف وقال له وجه بندقيتك إلى صدري وليس إلى قدمي.

أمام هذه الكلمات.. انكسرت كل الحواجز المصطنعة التي وضعها العدو لفصل الجنوب عن الوطن لتتحول إلى قيود تأسر الجبروت الزائف لهذا العدو لتنتقل بعد ذلك كلمات العزاء والتهنئة لبلدة جبشيت التي أُثلجت صدور أبنائها بشجاعة هذا السيد وبأسه.

أحسنت يا بني واسمح لي أن أكمل لك بقية مشواري مع والدك...

آن الآوان لأحدثك عن بعض محطاته التي كان الصبر فيها شاهداً على حسن خلقه أيضاً...

لقد تلقى نبأ استشهاد الشيخ راغب حرب رفيق العلم والجهاد بألم شديد يصحبه الفخار بكرامة الشهادة لذلك الأخ العزيز، ولكنه بالرغم من ذلك كان صبوراً على هذه الفاجعة شجاعاً في عزمه على الرد والانتقام فالصبر دون إرادة تخطيّ الآلام عار والسيد كان رمزاً للعزة لذلك كان الصابر على هذه المحنة وهو يتوعد بالرد والثأر لدماء

شيخ المجاهدين.. ولم تكن تلك الحادثة الوحيدة التي تبين مدى حلم السيد وصبره بل تعددت المواقف التي تبرز هذه السمة التي تجلت واضحة في مسيرة الرسل والأنبياء.

فساعات نوم سيد الشهداء لم تكن تتعدى أربع ساعات بالرغم من أنه كان يعاني من آلام المعدة وما يخلفه الإرهاق من آلام أخرى وكل ذلك لم يقف حائلاً أمام تحقيق السيد عباس لأهدافه مجتمعة ولو كلفه ذلك صحته..

صبره على الجوع أيضاً لم يكن غائباً وكم كان بإمكان ذلك العابد بأن يمتلك أطيب وأشهى الأطعمة ولكن أية خصال يملكها أولئك الذين يعيشون ليأكلوا بينما ذلك الزاهد خرج في إحدى أيام شهر رمضان المبارك ليحضر طعام الفطور فعاد فارغ اليدين ليروي بعد ذلك لزوجته التي كانت تنتظر طعام الفطور عن صبر الزهراء عليها السلام لينسيها بذلك الجوع ويغذي روحها بسيرة الزهراء المباركة وصبرها الذي يطرد الجوع وكل آفات هذا الجسد الفاني.

مبارك لك يا سيدتي هذا الواثق شريكاً في الحياة

والشهادة. . مبارك لك هذا العابد الزاهد شريكاً في الآخرة.

وكما تعلم يا بني عندما يمتلك المرء أخلاقاً حميدة وثقة كاملة بالله عز وجل يبحث عمن يشاركه هذه الثقة وعمن يتوج حياته بمن يسمو بالمبادىء ذاتها التي يؤمن بها.

وهنا لم يتكبد سيد الشهداء عناء البحث فقد كانت ابنة عمه السيدة سهام الموسوي حاضرة لتكمل مشوار الحق مع من سخّر علمه وأخلاقه لخدمة الحق وأصحابه.

ـ سيدي لطالما اتسمت مسيرتك بالوفاء. . فكما اخترت السيدة أم ياسر شريكة في الحياة. . كانت شريكتك أيضاً في الشهادة.

في بعض الأوقات يخيل لي أن ألم الفراق قد يبلسمه وجود أمي الغالية. اعذرني يا والدي ولكني أحياناً أبحث عن حضن دافىء أشكو له شوقي إليك ولا أجده فالأحبة رحلوا سوياً. . أبحث في زوايا المنزل عن ألعاب حسين الغالي فأدرك أن سنين مضت وأن اللعب مضت مع صاحبها. . ترنو إليّ ضحكاته في كل مكان كان يتواجد

فيه فيخيل إليّ أنه يحدثني ويخيل إليّ أنني أستمع إليه كالعادة.. يقص عليّ كل الحكايا القديمة التي كنت أحكيها له وكأنه يود أن يخبرني أنه هناك في جنان الخلد بات شاباً يقص على الملائكة عذب الكلام.

أجلس عند الغروب أتأمل وجوهكم يا أحبتي في وجه الشمس المنطفىء.

أحزن تارة وتارة أخرى أعتز بأنكم غبتم ولكن كما الشمس لتشرقوا من جديد في ذلك اليوم وتهدوني الشفاعة بإذن الله. عندها فقط سنلتقي ولن يفرقنا الرحيل..

في هذه اللحظات يقترب حسن الخلق مني يربت على كتفي ويقول:

يا ولدي.. في حسن كلامك الذي يصحبه أمل متجدد أشهد سيداً جديداً يبزغ نوره. في مثل سنك يعيش الشباب في كنف والديهما.. أما أنت فقد بت خير عائلة لأختك التي استودعها أهلك أمانة في عنقك.. بارك الله بك وبهذا العرق الطيب..

لم يعد لدي ما أقوله عن حسن أخلاق والدك.. لقد

كان أبو ياسر المرآة التي كنت أبصر فيها مبادئي.. لقد كان يسع الناس بي ويكسب محبتهم وثقتهم متكلاً على قول رسول الله ﷺ:

«أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم» وفعلاً حاول السيد تسخير أخلاقه الحميدة للتقرب من أولئك الذين كانوا يختلفون معه في الرأي حينما كان دائماً البادىء في زيارتهم والتعرف عليهم وغالباً ما كان تصرفه المحمود معهم يجعلهم ينقلبون عن آرائهم لتأييده وفي أضعف الإيمان كانوا يكتفون بوقف العداء تجاهه وتقبل آرائه حتى وإن لم يعملوا بها.

ها هو حُسن الخُلق يهم بوداعي بعد كلماته تلك.. ها هو يدنو مني بضع خطوات يقبلني في جبيني ليقول لي:

حان وقت رحيلي فهناك يا ولدي من يبحث عني أيضاً ولكن تذكر أني حاضر دائماً في روحك الطيبة والمخلصة لله أما الآن فقد حان دور العلم ليخبرك حكاياه مع والدك وسيرته القيمة برفقته هيا يا بني وابحث عنه أما أنا فاستودعك الله الذي لا يخيب ودائعه.

- لا أدري حجم الإرث الذي أملك ولكني أحصد

ثمار الغرس الطيب الذي زرعته يا أبا ياسر بيديك الطاهرتين.

بعد حديث حسن الخلق عنك أجد نفسي مدعواً لحمد الله وشكره ولا يضاهي الصلاة شكراً وحمداً.. أبدأ بعد التكبير بتلاوة سورة الفاتحة.. بسم الله فألحظ أحدهم يقف جانبي ويشاركني صلاتي.. وعندما أنتهي يبتسم ويقول: تقبل الله فأرد عليه منا ومنكم صالح الأجر.. أتردد في السؤال عن هويته فسمات وجهه مألوفة لدي.. أذكر هذه الملامح جيداً ولكن؟!

ـ ولكن ماذا يا ولدي.. والدك شهيد! فإذا أليس الشهيد حي لا يموت؟

أنا يا بني صديق السيد عباس وأدعى العلم.. كنت رفيق دربه وأعز أصدقائه استنار بي منذ صغره وهذا ما يفسُّر الشبه الذي لحظته بيني وبينه.

ـ ولكن كيف جئت.. كنت أهمّ بالبحث عنك وهذا ما أوصاني به حسن الخلق ولم أكن أعلم أن إيجادك بالأمر اليسير.

ـ أنت طلبتني يا بني.

ـ أنا آسف يا عماه.. لا أذكر أني قد طلبتك.. ليس قبل أن أصلي لله شكراً وحمداً.

ـ أعلم ذلك ولكنك طلبتني دون أن تدري فالعلم والعبادة لا ينفصلان عن بعضهما فمعرفة الخالق وحمده هي من أعلى درجات العلم بأسرار هذه الحياة ومفاتيح أبوابها المغلقة في وجه كل جاهل بعظمة ربه.

في عبادتك لله عز وجل تجدني حاضراً دائماً إلى جانبك أنير لك ظلمات الدنيا وأبشرك بحسن الآخرة.. فاطلب مني ما ترجوه وأنا في خدمتك.

ـ يا الله أي الأصدقاء كنت تصادق يا والدي.. وأي فخر أهديتني إياه بالحديث معهم.

أرجوك أيها العلم.. أرجوك حدثني عن أبي.. حدثني عن مسيرته معك فحسن الخلق أخبرني عن علاقتكما المتينة والقيمة.

ـ هذا صحيح يا بني فقد أدركني والدك باكراً وهذا ما يوثق ويفسّر إيمانه المطلق بالله فكما ذكرت لك سابقاً بأني وسيلة للتقرب من الله فمن يشرب من مياه الينبوع الذي يجري في أعماق البحر يروي ظمأه بماء عذب يحثه

للبحث عن مصدره فيغوص في المجهول يشرب من هنا وهناك فمرة يشرب مياه مالحة تشل أوصاله ومرة أخرى يشرب ماءً عذباً يوقظه من حالة السبات حتى يهديه أخيراً إلى ذلك الينبوع الذي يبتدئ بمنح العطاء والرحمة دون أن يسأله الآخرون ذلك. وهذا ما يوثق يا بني علاقة العبد بربه فمن يبحث عن المخلّص يدركه من نوافذ العلم.. وهذا كان حال والدك كغيره من الأتقياء.

تقدم يا بني سأصحبك في رحلة قصيرة نطوف بها على أماكن الهدى التي استضافت أبا ياسر طالباً للعلم ومعلماً له. ويسعدني أيضاً أن أعرفك عن كثب على أساتذته ورفاقه وطلابه وأنا على يقين بأنك ستشهد في هذه المحطات المختلفة مسيرة لعالم جليل تزخر بالعطاء والبركة.

اقتربت منه وأنا أتهيأ لأشهد مرحلة جديدة في حياة السيد.. مشينا معاً.. كانت خطاه واثقة في تلك الطرق التي كنا نعبرها. لم تحدّ من خطواته وعورة هذه الدروب أو ظلامها الحالك فما كان يلبث العبور فيها حتى تنبسط ممراتها وتنكشف بنوره ظلماتها وهكذا بدأت الرحلة.

بعد عدة ساعات وصلنا إلى منطقة تدعى الأوزاعي

وتقع في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت وهناك أشار إليّ العلم بيده إلى أحد المنازل قائلاً: أستطيع أن أقول لك إنه من هذا المكان تحديداً بدأت ملامح المعرفة والعلم بالظهور في شخص السيد عباس الموسوي. ففي هذا المكان التقى والدك وهو شاب له من العمر ستة عشر ربيعاً العلامة المغيَّب السيد موسى الصدر الذي لم يخفِ على أحد شديد إعجابه بذلك الفتى الذي أدهشه بعلمه الوافر وروحه الجهادية رغم أنه ما زال في ريعان الشباب وذلك ما دفع بالسيد موسى الصدر إلى الاهتمام به شخصياً فطلب منه الالتحاق بالحوزة العلمية التي كان قد أنشأها في مدينة صور. وفي معهد الدراسات الإسلامية بدأ سيد شهداء المقاومة الإسلامية بتحصيل علمه مروراً بانتقال هذه المؤسسة إلى البرج الشمالي وبعد أن أنهى دراسته فيها أوفده السيد الصدر إلى العراق ليتابع تحصيله العلمي في النجف الأشرف وتحت رعاية ووصاية السيد محمد باقر الصدر الذي وجد فيه طالباً مميزاً ينهل من كنوز المعرفة دون كلل أو ملل فخصه باهتمام بالغ حيث كان يمضي معه وقتاً طويلاً يجيبه على أسئلته المتعطشة لمعرفة الله والتقرّب منه أكثر.

فعشق العلم عبادة فهو غذاء الروح الذي يشفي المرء من داء الجهل المشل لحركة تطوير الذات والمجتمع.

والدك يا بني أدرك هذا باكراً لذلك كان يدرس ليلاً ونهاراً كي يعود إلى بلده ويخرجه من ظلمات الجهل والبذخ والترف التي كانت سائدة في تلك الفترة وفعلاً أنهى السيد المرحلة الدراسية الأولى بمدة قصيرة يحتاج غيره لسنوات أكثر كي يحصلها.

لم يكتف أبو ياسر في تلك الفترة بالتعلم فقط بل بدأ نشاطه بالعمل التبليغي إلى جانب دراسته.. لم يكن يطلب العلم ليحتفظ بثماره لنفسه بل كان يسعى ليشاركه الآخرين حصاد علمه الذي حصنه بالعمل به.. دون أن يبقى مجرد محاضرة يلقيها اليوم ويتحضر في الغد لمحاضرة جديدة غير آبه إذا ما كان كلامه بالأمس قد أدى وظيفته أو بقي مجرد لغو. وفعلاً تظافرت جهوده في العمل التبليغي بتكليف رسمي من الشهيد السيد محمد باقر الصدر وشاءت العناية الإلهية أن يشاركه هذه المهمة الشهيد الشيخ راغب حرب الذي جمعته بعد ذلك علاقة أخوة ومودة توجت بالشهادة لكليهما، وبعد أن عاد السيد

إلى لبنان وبدأ مهامه التبليغية بعد أن كانت البداية في العراق أبلغ ضرورة البقاء في لبنان بسبب إدراج اسمه في قائمة المطلوبين للتصفية من قبل الحكم الجائر هناك وبالرغم من ذلك قرر العودة ولكن السيد الصدر أمره شخصياً بالعدول عن قراره والالتزام بما يضمن سلامته حتى يضمن إيصال الأمانة العلمية لجميع المستضعفين والمظلومين التي بدأ نورها يشع من الحوزة العلمية التي أنشأها سماحته في مدينة بعلبك عام ١٩٧٨. لقد كان لهذه الحوزة الأثر الكبير في طمس معالم الجهل والتخلف التي كانت سائدة في هذه المنطقة وذلك من خلال الاهتمام البالغ من قبل السيد عباس بها فلم يقتصر دوره على التعليم فقط بل سعى ليكون قريباً من الطلاب من خلال الاطلاع على همومهم ومشاكلهم وجهده الدائم لإيجاد الحلول المناسبة حتى يتفرغ الطالب للدراسة في جو هادىء يضمن له جودة تحصيله العلمي إضافة إلى ذلك فقد شكل التواصل الدائم مع طلاب الحوزة دعامة أساسية وفرت الانضباط والالتزام من قبل كل طالب وهنا لا بد أن أشير إلى مسألة هامة جداً وهي إصرار السيد عباس على أن يقترن علم طلابه بالعمل منذ بداية دراستهم فكان

حريصاً في كل اجتماع يضمه إليهم على توجيههم إلى الأمور الواجب اتباعها في حال تمت دعوتهم لإجراء عقد زواج أو لاستخارة أو ما شابه ذلك رغم أن الوقت قد يكون ما زال باكراً لتحمل مثل هذه المسؤوليات. ولكن تأكيد سماحته على هذه الواجبات جاء من خلال إيمانه بأن المجتمع لن يتطور إذا لم يتحمل كل فرد مسؤولياته في كافة المواقع.

ومن هذه النظرة الهادفة أيقن سماحته ضرورة إدخال دروس الأخلاق والتفسير والسيرة إلى المنهاج التدريسي كي يؤدي كل طالب عمله التبليغي فيما بعد بصدق وأمانة وفعلاً بدأت بشائر هذه الدروس تظهر جلية من خلال النشاط التبليغي الذي امتد ليشمل القرى المحيطة بمدينة بعلبك إضافة إلى منطقة الهرمل وجوارها التي كانت بأمسّ الحاجة لمن يوقظ فيها الروح الإسلامية التي ما غادرتها يوماً ولكن هيمنة الاستعمار وما خلفه من توابع كبلت عزيمتها وتركتها في سبات عميق أفلح سماحة السيد عباس الموسوي في صحوتها وإعادة شعبها إلى دورهم الطبيعي في المساهمة في حركة تطوير المجتمع وازدهاره. قد يتساءل البعض هل كان سماحته قادراً على القيام بكل

ذلك وحده؟ وهنا أستطيع القول بأن واثق الخطوة يمشي ملكاً فقد تميز السيد بثقته الشديدة بنفسه تلك الثقة النابعة من ثقته المطلقة بالله عز وجل.

أحببتُ يا بني أن ألفت نظرك إلى تلك السمة المميزة في شخصية والدك وأرجوك أن تسألني عن أي شيء قد يفوتني إخبارك عنه.

ـ في الحقيقة هناك ما أود أن أسألك عنه.

ـ تفضل يا بني.

ـ هلاّ حدثتني عن أثر الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني قدس سره على النهج الذي كان يخطه والدي في مسيرته الجهادية.

ـ لقد كنت أهم بالحديث عن هذه المرحلة.. أحسنت السؤال عن ذلك سأجيبك عما يخص أثرها على الجانب العلمي وسأترك آثارها الأخرى لأصحاب الشأن كي يحدثوك عنها.

ـ لقد كان انتصار الثورة الإسلامية في إيران بمثابة إشراقة الشمس على أرض مقفرة.. جرداء.. لم تشهد

الضياء منذ زمن بعيد.. لم تكتف إشعاعات نورها بشمول إيران بل امتدت لتشمل كل الأمم المتعطشة لروح الإسلام الغائبة فكانت بمثابة الأمل المتجدد للسيد عباس الموسوي الذي كثف الدروس العلمية في الحوزة التي باتت ملتقى لجميع المؤمنين بهذه الثورة وأهدافها. كذلك قام بالاعتماد على نتائجها في بث الروح الإسلامية من خلال النشاط التبليغي الذي بادل الثورة العطاء فقام أيضاً بنشر مبادئها وإيصالها إلى كل الجماهير ولعل ذلك أيضاً ما شجعه على إقامة دورات عسكرية للطلاب كي يكونوا حاضرين في خنادق الجهاد كما في مواقع العلم ومنابره.. وسأترك الحديث عن ذلك كما أخبرتك سابقاً لصاحب الشأن..

ـ وإذا كنت قد تحدثت عن الثورة الإسلامية في إيران فلا بد أن أتحدث عن مكانة الشهيد محمد باقر الصدر لدى والدك وأثر استشهاده على الحوزة العلمية في بعلبك كنت قد ذكرت في بداية رحلتي معك عن العلاقة الطيبة والمميزة التي جمعت والدك مع الشهيد الصدر لذلك من المألوف أن يكون رحيل السيد الصدر بمثابة فقدان السيد عباس لوالده وفقد الابن لأبيه ليس بالأمر اليسير.

لا أعتقد يا عماه أن هناك ما يفوقه حزناً وألماً ففقد المرء لأبيه كفقد الينبوع للمياه وما أدراك يا سيدي عن حالة المشتاق لعناق والده.. فقد بدأت المسيرة معك وأنا ألحظه يتعقبني في كل الأمكنة فكلما استدرت لأراه يتعبني الانتظار فلا أجده وأدرك أنه يشاركني نبضات قلبي، لا أراه ولكنه يحرسني ويثبت خطاي كي أكمل مسيرتي معك.

ـ لقد كان للحديث بقية ولكنك الآن أكملته دون أن تدري.. في بداية الأمر.. أدرك جيداً يا بني مرارة الفراق وأعلم أن حزن الأب على فقده الابن لا يفوقه حزن.. لقد فقدت العديد.. العديد منهم ففي كل مرة كنت أشعر بأني كشجرة تتقطع فروعها وتذبل زهورها ولكني كنت أعي بعد ذلك أن براعم وثماراً جديدة قد أينعت وورودا جديدة قد أزهرت وهذا ما كنت أود قوله وعبرت عنه أنت بصيغة أخرى.. فوالدك كما قلت يعيش في قلبك.. يحرسك ويثبت خطاك كي تكمل مسيرتك معي وهذا يعني أن خطاك امتداداً لخطاه وعلمك امتداداً لعلمه وهذا ما حصله السيد عباس عندما أهدى الشهيد الصدر الحياة من خلال تجسيد علم معلمه ووالده الروحي في دروس

الحوزة العلمية وأنشطتها المتعددة كي يبقى فكر الشهيد الصدر باباً من أبواب العلم الذي يتوجب على طالبه المرور به قبل أن يرتقي إلى منصة العلماء.

- لم يكتف والدك بإبرازه رمزاً من رموز الفكر بل قدمه مثالاً للشهادة التي يحتذى بها وبذلك تحول حزن الابن على أبيه إلى العطاء والوفاء لذكراه الطيبة. والآن جاء دوري كي أسألك.

- هل تسألني يا عماه وأنت المجيب دائماً!!

- نعم ولكني أود أن أسألك عن شيء تعلمه دون سواك، أخبرني عن كيفية معاملة السيد عباس لكريمته وفلذة كبده وهل كانت هذه المعاملة تختلف عن معاملته لك؟

- يا سيدي.. كان الأجدر أن تتوجه بهذا السؤال لأختي ولكن سأجيب بالرغم من أنك على دراية بخُلق صديقك...

لم أشعر يوماً بأن هناك اختلافاً في المعاملة. بل على العكس كان لأختي مكانة مميزة لدى والدي.. لقد كان يذكر دائماً بأنها ريحانته التي تنسيه جراح الدنيا

وهمومها.. لقد كان يتحدث إليها في أمور عدة.. ولقد تناول الحديث عنك مساحة كبرى في حواره مع أختي..

هذا ما كنت أتوق للوصول إليه.. إذاً لقد كان لي نصيب في حوارهما.

نعم.. بكل تأكيد حتى أنه كان يدفعني وأختي لمناقشات فكرية يأخذ فيها دور الحكم والمراقب.

ـ هذا بالضبط ما سأصل إليه.. فكما اهتم والدك بإنشاء حوزة علمية في بعلبك للبنين فقد أصر على إنشاء حوزة علمية للبنات كي تقف المرأة إلى جانب الرجل في بناء مجتمع متكامل متين لا يشوبه الشلل في بعض أعضائه المتخلفة عن المشاركة في تأسيسه.

لذلك سعى لإقامة صرح علمي نسائي يكون له دور إعداد وتأهيل النساء كي يتحمل كل فرد مسؤولياته سواء كان ذكراً أو أنثى للواجبات الملقاة على عاتقه بما يحقق طموح الدين الحنيف.. فكانت نتيجة هذه المثابرة والنظرة الهادفة حوزة الزهراء عليها السلام التي افتتحت بدعم مادي مباشر من سيد شهداء المقاومة الإسلامية وما تبع ذلك من دعم معنوي من خلال الإشراف على أوضاع الحوزة

ومراقبة نموها.. ولا بد أن أهدي التحية للسيدة الشهيدة أم ياسر لما حققته من أهداف سامية من خلال هذه الحوزة.. فكانت شريكة في الجهاد كما أصبحت بعد ذلك شريكة الشهادة.

مبارك لك يا ولدي هذا النسب الطيب.. والآن دعني أصحبك إلى دار يخصني تستريح فيه من عناء المسيرة وإن كنت واثقاً بأنك تزداد عزماً في كل خطوة نخطوها معاً.

ـ أنت محق يا سيدي فالعناء يتكبده المرء بعد مسيرة طويلة لا يدرك من بعده فائدة أما بالنسبة لمن يهنأ بالمعرفة في كل خطوة يخطوها فتلك تنسيه مشقة الطريق كله.

ـ أتدرك يا ولدي بأنك تذكرني بوالدك منذ صحبتك معي في هذه الرحلة وأصدقك القول بأني لست متفاجئاً لأن من أنشأ جيلاً كاملاً على الخلق الطيب وحب العلم وزرع في هذا الجيل والأجيال القادمة روحاً جهادية واثقة لن يفوته بأن يكسب ولده ويورثه كل تلك النعم التي أعزه الله بها.

كان عبق هذه الكلمات يؤنسني ويرفعني درجات تشعرني بالفخر تارة والخوف تارةً أخرى فأن أرث كل ذلك فخر لا يجود به سوى البارىء عز وجل ولكن الخشية كانت تنتابني عندما كنت أشعر بأن كل من عرف والدي يحملني مسؤولية إكمال المسيرة المشرفة التي أوقدها بدمائه الطاهرة.. غير أن إيماني المطلق بالله ورحمته كان يهديني السكينة والقوة التي كانت تتطلبها مثل هذه اللحظات وهذا ما جعلني أدرك بأن شفاعة السيد عباس حاضرة في حياتي كما في الآخرة.

ومضيتُ أكمل مشواري مع العلم وما هي إلا دقائق حتى نبهني إلى وصولنا إلى منزله. دعاني إلى الدخول أولاً فرفضت ذلك مردداً: من بعدك يا عماه.

لكنه أجابني قائلاً: أنت بحاجة للراحة فنحن نسير منذ وقت طويل.. أما أنا فلدي موعد ويتوجب عليّ أن أكون حاضراً.. تفضل يا بني.. تصرف كأنك في منزلك.. واستأذنك المغادرة كي لا أتأخر في الوصول..

ما هي إلا لحظات حتى اختفى ذلك السيد.. تماماً كما ظهر لي.. كنت أهمّ بالدخول عندما استوقفتني عبارة

محفورة على باب المنزل خط بأسفلها «الإمام علي بن أبي طالب».

وهذه كلماتها «إذا كان الآباء هم السبب في الحياة، فمعلمو الحكمة والدين هم السبب في جودتها».

تأملت هذا القول الكريم طويلاً ثم دخلت.. لن أنسى ما حييت ما رأيته داخل هذا المنزل فعندما كنت خارجه كنت قد لحظت نوراً يحيط به ولكن أي ضياء يضاهي ذلك الخارج من قاعات هذا المنزل المدهش.. لم يكن كغيره من المنازل الذي يقتصر على عدة غرف وقاعة استقبال كما جرت العادة.. بل كانت قاعات الاستقبال ممتدة على مساحات كبيرة تفوق مساحة النظر.. ولكأني أشهد مدينة قائمة في هذا المنزل. تقدمت قليلاً وأنا أصغي إلى الأصوات المنبعثة من داخل هذه القاعات.. إلى أن وصلت إلى إحداها.. وجدت فيها جمعاً من العلماء يتناقشون في أمر ما.. ألقيت عليهم السلام فردوا بأفضل منه.. تابعت خطاي كي أجلس في مكان قريب أستريح به فلاحظت أن الجميع بات يحدق بي.. كانوا يتهامسون فيما بينهم تصحب وجوههم الابتسامة وقد اغرورقت عيونهم بالدموع.. على مسافة

قريبة وجدت مكاناً خالياً إلى جانب أحد العلماء الذي كان ينفرد لوحده بعض الشيء.. استأذنته بالجلوس بعد التحية فرحب ودعاني إلى الجلوس ولكن دون أن ينظر إليّ.. كان منشغلاً بالكتابة وكان بادياً انهماكه في ذلك.. لمحت بعد ذلك عنواناً على أحد الأوراق يحمل اسم أمير القافلة.. أثار العنوان فضولي وأحببت أن أتعرف أكثر على صاحبه فإذا بي ألحظ ما دوّن تحت هذا العنوان بخط صغير.

كان قد كتب «السيرة الذاتية لسيد شهداء المقاومة الإسلامية» كانت هذه العبارة كافية لأدرك أن أمير القافلة هو السيد عباس الموسوي.

نعم هو أنت يا والدي العزيز.. أحببت أن أستأذن العالم في قراءة ما قد كتبه ولكني ترددت مراراً خشية مقاطعته عن الكتابة.

وما هي إلا دقائق حتى انضم إليه أحد العلماء قائلاً له: هل أنت منسجم بالكتابة إلى حد ينسيك الترحيب بضيفك؟. نظر إليه ذلك الشيخ قائلاً: وهل يوجد ضيف يفوق عظمة من أخط سيرته.. مضيفاً ولكن عن أي

ضيف تتحدث فلا ضيوف لديّ.. نظر إليّ العالم الجليل قائلاً: ابن معلمك وحبيبك جالسٌ إلى جانبك وتسألني عن أي ضيوف أتحدث.. عندها استدار إليّ وما إن رآني حتى صرخ قائلاً: يا الله.. يا كريم.. ابن الغالي إلى جانبي ولم أكن أدري.

اعذرني يا ولدي.. اعذرني.. تقدم إليّ وعانقني قائلاً: أي دعاء جميل أرسلك إليّ بعد ذلك علمت بأنه فضيلة الشيخ محمد علي خاتون الذي كان طالباً في الحوزة العلمية التي أنشأها والدي في بعلبك وقد علمت أيضاً أنه نال مكانة مميزة لدى سيد شهداء المقاومة الإسلامية.

في أثناء لقائي مع الشيخ محمد علي خاتون دار بيننا حديث طويل.. حدثني فيه عن الخصال التي أهلت والدي ليكون أهلاً للأمانة العلمية في الحوزة التي أنشأها في بعلبك والتي كان العلم قد تطرق إليها في بداية مشواري معه فكأنه أحب أن يدعوني لمنزله كي يسمعني تلك الشهادات من طلابه الذين عايشوه.. وفعلاً فقد تعرفت على الكثير منهم والذين جاؤوا ليلقوا التحية عليّ ويهنئونني بالكرامة التي منّها الله عليّ حينما منحني والداً

أهداني الفخر بخصاله الحميدة لقد كانوا يبادلون معلمهم المحبة التي شملهم بها لذلك قرر الشيخ محمد علي خاتون أن يسطّر سيرة السيد عباس الموسوي في كتاب يهديه إلى روحه الطاهرة بالرغم من معرفته بأن كل ما سيخطه عن سماحته ليس سوى غيض من فيض.

وبالرغم من معرفتي بالأسباب التي دفعته لكي يخط هذه السيرة إلا أني أحببت التعرف على هذه الأسباب أكثر فسألته حول ذلك فما كان منه إلا أن أعطاني ورقة قائلاً: تلك السطور مقدمة لهذا الكتاب وستجد فيها الجواب على سؤالك.. وفعلاً بدأت بقراءة ما هو مدون فيها وطالعتني هذه الكلمات.

«كانت فكرة الكتابة عن سيد شهداء المقاومة الإسلامية حلماً يراودني منذ شهادته المباركة لعلها جزء من دين أدين له به وما أكثر ديونه عليّ».

- لم أستطيع أن أعلق على ذلك بشيء واكتفيت فقط باستئذان هذا الشيخ الجليل بأن يشرفني بقراءة هذا الكتاب وزادني شرفاً عندما وعدني بأن أكون أول قارىء له حينما ينتهي من كتابته.

بعد ذلك دعاني لجولة في هذا المنزل الكبير فقلت له مازحاً: أليس حجم هذا المنزل كبير بما يكفي ليكون مدينة.. فأجابني مبتسماً لقد أصبت أنت داخل مدينة وستعلم بعد قليل أية مدينة أنت في ضيافتها.. لم أستغرب كلماته تلك فمنذ بداية رحلتي مع العلم وطريقة لقائي به جعلتني أتحضر لما قد أشهده بعد ذلك في مشواري معه.

وصلنا إلى قاعة كبيرة فيها حشد من الطلبة يحاضر فيهم سيد عظيم لا تخطئه العين. نعم لقد كانت كلماته تبلسم آهات الجهل فتمنحها العلم والمعرفة.

لقد كان ذلك السيد عزيزاً عليّ.. قريباً مني منذ استشهاد والدي.. لم يفارقني بمواساته وبث الصبر في نفسي.. ها هو يبتسم إليّ وكأنه يدعوني إلى مجلسه بعد أن أنهى محاضرته.

كنت برفقة فضيلة الشيخ خاتون أتوجه إليه ولكن كانت تلك الجموع التي أحاطت به تتبارك بالحديث معه وبإلقاء التحية عليه.. انتظرنا مدة ليست بالقصيرة حتى وصلنا وهناك كان ذلك الرجل النبيل ينتظرني.. عانقني

بشدة مرحباً بي قائلاً: أهلاً بك.. والدك في جنان الخلد فخور بوصولك إلى هنا..

ها هو سماحة السيد حسن نصر الله يحملني مسؤولية جديدة.. ولا أدري إن كنت فعلاً قد قطعت شوطاً يؤهلني لكسب فخر أبي ياسر.

في تلك اللحظات التي كنت أتساءل بها عن ذلك تقدم مني الشيخ خاتون وألقى التحية عليّ واستأذنني الرحيل ليكمل كتابة ما كان قد بدأه بعد أن أوصلني إلى الأمين كما قال لي وهو يهمّ بالمغادرة.

كنت منهمكاً في وداع الشيخ خاتون عندما لمحت السيد حسن نصر الله يبتسم وهو يقول: لقد ودعت طالباً من طلاب والدك في الحوزة العلمية في بعلبك لتلتقي بطالبه في النجف الأشرف.. أهلاً وسهلاً بك.. لا ريب أنك متشوق لأقص عليك مشواري مع السيد عباس الموسوي وقبل أن أبدأ أود أن أشير إلى أن حكايتي معه تشبه إلى حد كبير مسيرتك التي يصحبك العلم بها.

لقد دعاني والدك لأزور مدينة العلم كما أنت مدعو لزيارتها الآن ولتفخر يا ولدي لأنك في ضيافة الرسول الأكرم ﷺ.

عندها قلت لسماحته.. أهذا ما كان يود فضيلة الشيخ خاتون بأن يخبرني به حين قال بأني سأعلم بعد قليل أية مدينة تستضيفني.

ـ نعم هذا ما كان يقصده.. أنت الآن في ضيافة جدك صلوات الله عليه وهذه المدينة يقصدها كل طلاب العلم لذلك كان لها حيزاً كبيراً في فكر سيد شهداء المقاومة الإسلامية فقد كان يؤكد أن علم الرسول وأهل بيته المصدر الأساسي الذي نعتمد عليه لنحصّل ثمار وبركات القرآن الكريم.. وبالتالي فقد شكلت علوم الرسول وآل بيته دعامة أساسية في المنهاج الذي اتبعه والدك في الحوزات وفي طريقة تثقيفه للطلاب لذلك ترانا نلجأ إلى هذه المدينة كلما اشتد بنا الظمأ لنستقي من بركات رسولنا الكريم ومن فضل الأئمة الميامين فمن أراد زيارة الرسول(ص) عليه أن يأذن الإمام علي عليه السلام في ذلك فالمصطفى(ص) يقول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد أن يدخلها فليدخلها من الباب».

ـ ولعل ذلك يظهر واضحاً في القول الكريم الذي خط على باب هذه المدينة التي يطالع كل زائر لها.

أحببتُ يا ولدي في هذا الكلام الموجز أن أشير إلى والدك حفيد النسب والرسالة وسليل الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة.. كان يجد في علوم وخلق جده وأهل بيته منارة تكرس لحياة اجتماعية صحيحة لا تشوبها أمراض تقود الفرد إلى الهلاك في دنياه وآخرته.

ـ لقد نهلت من هذه العلوم على يد سماحته في مقتبل عمري بعد أن تكفل السيد عباس برعايتي والاهتمام بجميع شؤوني فكان شعوري تجاهه شعور الولد لأبيه الذي كان يضاهي في مرات عدة شعور الطالب تجاه أستاذه.

هذا الشعور كان يشاركني به جميع طلابه الذين وفقهم الله به معلماً «فقد جرت العادة في الحوزة العلمية أن يلتحق الطالب بمجلس لأحد الأساتذة من أي علم شاء. يلقي الأستاذ محاضرته أو يشرح مقاصد الكتاب المختص وينتهي دوره عند هذا الحد فليس من المعتاد أن يباحث طلابه أو يمتحنهم يومياً أو كل مدة أو يتتبع حضورهم وغيابهم وما شاكل.. أما عند السيد عباس فقد كان كل ذلك مختلفاً فقد وفقنا نحن طلابه بعلاقة مميزة معه.

بدأنا دراسة المقدمات وكان يمتحننا ويسألنا بشكل دائم، ولقد فرض علينا أن نكون جديين جداً في أجواء يعيش فيها كثير من طلبة العلوم حالة التساهل وعدم المسؤولية وكان يتفقدنا ويتابع حل مشاكلنا الشخصية، وقد مضت مدة طويلة لا نعرف تعطيلاً حتى في حر الصيف في مدينة النجف ثم إنه أوجد لنا أجواء ثقافية متنوعة إضافة إلى الدروس الحوزوية التقليدية المتبعة وكان دائماً يقول: يجب أن نصبح العلماء اللائقين بحمل هذه الرسالة الإلهية والدفاع عنها في كل المواقع وهكذا كان على امتداد سنوات الدراسة والتحصيل.

لا أذكر أنه عقد لنا جلسات أخلاقية ولكنه كان أستاذاً للأخلاق بكل ما للكلمة من معنى: بسلوكه وتعاطيه وتفانيه وعطفه وحنانه، لم يقتصر في العلاقة مع الطلاب على الجانب العلمي الحوزوي البحت بل كان حريصاً جداً على تقوى هؤلاء وتدينهم والتزامهم العملي والخلقي. كان المرآة الصادقة لهم، يحدثهم بالسر عن أخطائهم وضرورة تصحيحها ويأخذ بأيديهم سواء السبيل عندما تتفرق السبل.

لقد كان هذا العالم يحمل همّ الرسالة وهموم الأمة..

يتألم للواقع السيئ ويحلم بمستقبل الإسلام الآتي، لم تكن رغبته بالدراسة ذات منشأ عائلي أو طموح شخصي وغنماً كان الدافع رسالياً بالكامل كان يوفر مبلغاً من راتبه البسيط في النجف ليأتي كل عام إلى بلدته ويقوم بمهام التبليغ فيها وفي المحيط وكانت نفقات رحلة العناء هذه كلها من خبز زوجته وأطفاله وبعد انتهاء المهمة يعود سريعاً إلى مدرسته وطلابه فليس عند السيد عباس وقت للترف أو السياحة. لقد كانت حياته المباركة كلها جهاداً وجدية ومثابرة وكم كان وصف سماحة القائد حفظه المولى له دقيقاً عندما قال إنه لا يعرف الكلل والملل لقد سعى رضوان الله عليه ليبث هذه الروح الرسالية في نفوس طلابه ورفاقه من النجف إلى المدرسة الدينية في بعلبك وعلى طول طريق الجهاد الدامي حتى الشهادة». [نقلاً عن سماحة السيد حسن نصر الله].

ـ لا شك يا سماحة السيد في كل ما قلته فالروح الرسالية واضحة في قيادتك الشريفة وأمانتك العامة لحزب الله. جزيل الشكر لأنك حدثتني عن والدي فسيرته تحيي فيّ العزيمة والثبات.

ـ لا شكر على واجب فمسؤولية كل طلابه تفرض عليهم أن يؤدوا ولو جزءاً من ديونه وحقوقه عليهم.

وحقه عليّ أن أصون أمانة حزب الله التي أوكلها إليّ في حياته بعد إصراره الدائم على تحمل هذه المسؤولية من بعد شهادته المباركة كما ذكر لي في أكثر من مرة.

ـ قل يا ولدي كم من الوقت ستمكث هنا.

ـ لا أدري يا سماحة السيد ولكن أقدّر أن عليّ المغادرة قبل أن تفوتني شهادة الشرفاء أمثالك في محطات أخرى من حياة والدي.

لقد دعاني العلم إلى داره ريثما يعود من موعده ولكن أعتقد أنه حان وقت مغادرتي المؤقتة فالعودة قريبة إلى تلك الديار بإذن الله..

أحسنت بقرارك ملازمة هذه الديار بالعودة إليها.. تعال سأدلك عمن يبحث عنك وتبحث عنه..

مشيت والسيد معاً في أرجاء هذه المدينة حتى وصلنا إلى ممر يوصلنا إلى خارجها..

وصلنا إلى باب شبيه بذلك الباب الذي دخلت منه إليها وعنده ودعت السيد حسن نصر الله وأودعته السلام لمن رافقته في هذه الرحلة فما كان من السيد إلا أن أشار

إلى الجهة المقابلة لي قائلاً: تستطيع أن تهديه السلام وجهاً لوجه.. نظرت أمامي وفعلاً كان العلم ينتظرني خارج المدينة.. ألقيت التحية مجدداً على الأمين العام لحزب الله ثم توجهت صوب من ينتظرني.

ضحك قائلاً.. آسف إن كنت قد تأخرت في العودة فرددت عليه لم تغادرني لحظة واحدة يا عماه.. لقد كنت حاضراً في حديث جميع من قابلتهم في دارك ولكني أود أن أطرح عليك سؤالاً وأرجو ألا يزعجك فأجابني بكل ترحيب.. اسأل عما تريد.

ـ كنتُ أعتقد أن الجهاد هو من سأرافقه في المحطة الثالثة في مشواري وها أنا أجدك خارج مدينتك فهل استجد شيء على مخطط رحلتي الطويلة مع أصدقاء والدي فأجابني ممازحاً.. أتنوي أن تغادرني باكراً كما فعل والدك لقد أحزنني غيابه في الحوزات وتفرغه لمهام جديدة.. عندها سألته أن يشرح لي أكثر عن ذلك فاستجاب لي في هذه الكلمات نعم لقد غادر والدك منابر العلم لكي يعتلي منابر الجهاد.. وذلك ما خفف حزني لفراقه.. اقرأ ما كتب على باب الخروج من مدينتي وستفسر وجودي خارجها.

كان قد كتب عبارة طيبة للرسول الكريم ﷺ يقول

فيها: «طلب العلم عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد».

- هل تقصد يا عماه أن التطبيق العملي لنظرياتك جهاد.

أحسنت يا والدي هذا ما قصدته ولعل ذلك ما أشار إليه والدك في عبارته التي يصفني فيها بأني سلاح من يمتلكني يمتلك مقدرات الحياة..

فتحصيل المرء لي يقيه من ظلمات الدنيا.. كذلك تطبيقه لي يهديه إلى حسن الآخرة والجهاد هو أسمى الطرق للوصول إلى ديار الرحمن وهنا تظهر جليّاً العلاقة المتينة بين العلم والجهاد فوالدك وكما تعلم تحدى جبروت الشر أثناء قيامه بالتبليغ العلمي سواء أكان ذلك في العراق أو لبنان.

ووجوده في الحوزة التي أنشأها في بعلبك أثناء الغارات العدوانية في هذه المنطقة هي خير دليل على اقتران العلم بالجهاد ومن هنا تجد أن الجهاد هو وسيلة لإعلاء كلمة العلم وبناء صروحه أما الآن فتستطيع الرحيل إن شئت.. أسعدت برفقتك وتذكر أنك ستجدني دائماً إلى جانبك كلما طلبتني.. لا يسعني المكوث أكثر فهناك من يدعوني لمجلسه.. أستأذنك المغادرة يا ولدي.. وفقك الله في بقية الرحلة.

بعد كلماته تلك ناديته قبل أن يهم بالدخول إلى مدينته قائلاً له:

ألن تدلني في أي مكان ينزل الجهاد؟ فأجاب:

لن يطول بحثك عنه فهو متواجد في كل الأمكنة فهو يعيش في روح كل العاشقين له.

وبثقتي التامة بكلمات العلم تابعت المسير إلى أن لمحت من بعيد شاباً في مقتبل العمر لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره.. ألقيت عليه التحية وأنا أهم بإكمال مشواري ولكنه استوقفني قائلاً.. لقد كان لي نصيب أكبر في استضافة أبي ياسر.. أتكتفي بتحيتي وأنت ولده البار.. لم أكن أحتاج لوقت طويل لأدرك هوية ذلك الشاب.. غير أنه سبقني بالتعريف عن نفسه قائلاً: أدعى جهاد تشرفت باستضافة والدك لمدة طويلة ويسعدني أن تقبل ضيافتي فأجبته: شرف كبير لي أن ألبي دعوتك ولا سيما وأني كنت أبحث عنك وأتوق لرؤيتك.. أشكرك لأنك أدركتني باكراً. بارك الله بك وبأمثالك.

ـ أهلاً وسهلاً بك من جديد.. ومن سرّه التعرف إلى والدك وهو في السادسة عشرة من عمره لن يفوته إدراك

ولده وفلذة كبده وهو في ريعان شبابه.. لن أطيل عليك فأمامنا دروب طويلة نسلكها كي نصل إلى المكان الذي استضفت به والدك لأول مرة وجهاً لوجه.

وهكذا.. تابعت رحلتي التي بدأتها مع حسن الخلق وتابعتها مع العلم وها أنا أكملها مع الجهاد.. كانت تجمع أولئك الأصدقاء صفات مشتركة توحدت جميعها في شخصك أيها الشهيد الغالي ولكني لاحظت ميزة يتفرد جهاد بها ألا وهي حداثة سنه رغم مرور سنوات كثيرة على ولادته.. وهذا ما كان ظاهراً من خلال وثباته المنتظمة أثناء الرحلة التي كان يصحبها روح الشباب وعنفوانه واندفاعه نحو تحقيق أهدافه.. كانت خطاه بمثابة الوثب بالنسبة لغيره فجهاد يدري أن من يقصده عليه أن يجاريه حتى يوفق بالغاية المرّجوة من رفقته.

حول هذا الموضوع سألته فوعدني بالإجابة ريثما نصل إلى المكان المقصود، وإلى هناك توجّهنا رغم مشقة الطريق الذي تغلب عليه الجرود وما يرافق ذلك من تحمّل الصعوبات في عبورها، ولكن شتّان ما بين هذه الطريق والطريق التي سلكتها يا والدي فقد أخبرني جهاد أنك تحملت عناء ومشقة هذه الدروب التي كان

يصعب عبورها في ذلك الحين بعد أن تعذّر عليك اجتياز المركز الحدودي الفاصل بين دمشق وبيروت نظراً لصغر سنك.

لقد ذكر أنك ناضلت للقائه تاركاً أهلك وأنت المعروف بالمودة والرحمة تجاههم كي تلتقيه في إحدى مخيمات الشام والتي قد وصلنا إليها الآن على ما أظن.

ـ ها قد وصلنا وهنا في هذا المخيم تقاسمت مع والدك رغيف العيش وبركة الغيث.

هنا تعرفت عليه بعد أن اجتاز كل تلك المسافة التي مررنا بها منذ ساعات على أمل الوصول إليّ متحدياً الجوع والعطش والقهر والتعب.

في دمشق.. في هذه المدينة التي تنبض فيها جراح المستضعفين والمظلومين، في هذه المدينة التي قدّر لها أن تكون حاضنة لآهاتهم وآلامهم ومعسكراتهم من أجل استرداد حقوقهم. فيها كان اللقاء الأول بسماحته.. فقد جاء يلبي نداء المظلومين في فلسطين الحبيبة فخضع لتدريبات عسكرية في معسكرات ثورة ولأن رفقتي تتطلب وتستوجب الإيمان بالتضحية بالنفس في سبيل أسمى الهدايا التي أقدمها..

تجاوز السيد عباس إصابته البالغة في جسده أثناء خضوعه لهذه التدريبات فقد اعتبر هذه الإصابة التي أدت إلى كسر قدمه هدية وكرامة أقدمها له ولا تغيب عن الذاكرة أبداً تلك الكلمات التي كان يبلسم بها آلام الجرحى حيث كان يقول: «الجرح جرح الكرامة وليس جرح الجسد» وفعلاً فقد جاهد سماحته كي يحمي كرامة المقاومة التي أنشأها من كل جرح يهدد مسيرتها وبإذن الله سآتي على ذكر ذلك مفصلاً في سياق الحديث. أود العودة الآن إلى السبب الرئيسي الذي زرع الروح الجهادية في نفس السيد ومبادئه.. بداية لا يخفى على أحد الأثر الواضح في تأثر سماحته بنهج أهل البيت عليهم السلام وقد تجلى ذلك واضحاً في مسيرته الأخلاقية والعلمية كما تعلم والحمد لله فقد امتد تأثيره بنهجهم الشريف ليشمل الناحية الجهادية أيضاً.. لقد كان الهدف الأساسي للأئمة الميامين في مبادئهم المباركة تلك إعلاء كلمة الله.. كلمة الحق في الأرض فكانوا خير الناصرين للمستضعفين والمظلومين الذين تجمعوا حولهم ليشهدوا نعيم الجنة في ضياء وجوههم المباركة.

السيد عباس سار على خطاهم فحمل هموم الشعب

الفلسطيني المستضعف وتطلعاته في سن مبكرة وذلك ما دفعه للجوء إلى هذا المكان كي يخضع لتدريبات عسكرية ويساهم في مسيرة النضال التي يتحمل أعباءها الشعب الفلسطيني. . إلا أن ذلك لم يردعه عن مساندة الشعوب المظلومة التي كانت تعاني من قوى الاستكبار وعدوانه بطريقة أو بأخرى وفعلاً ذلك ما جعل السيد يناهض جبروت الشر في كل مكان في العالم فكان حاضراً في الجبهات في إيران كما أنه زار باكستان وكشمير وأفغانستان وكان مسانداً للحركات الإسلامية التحررية في العالم إلا أن القلب الذي كان ينبض بالوفاء لأولى القبلتين والذي تحمل السيد صغيراً أمانة الجهاد من أجل استرداده جعله يولي قضية فلسطين أهمية كبرى مقارنة مع غيرها من البلدان المستضعفة إلى أن شاء القدر أن يتحمل ذلك السيد مسؤولياته في الدفاع عن بلده لبنان الذي بات رهينة العدو الصهيوني ومؤامراته. . وفي هذه الفترة بدأت ولادة المقاومة الإسلامية التي كان للثورة الإسلامية في إيران الدور الكبير في انطلاقتها التي أسس لها وساهم في بزوغ نجمها السيد عباس الموسوي ويسعدني أن أحدثك عن آثارها التي امتدت لتشمل مسيرته الجهادية التي بدأها يافعاً

وأخرجها إلى العلن تجربة غنية لكل الشعوب المستضعفة في المنطقة. فالثورة الإسلامية في إيران جاءت رداً على الظلم الذي كان يعاني منه الشعب المظلوم في إيران من الهيمنة الأميركية على أراضيه..

وكانت نتائجها الإيجابية والتي حطمت مفهوم الأمركة بكل تبعاته بمثابة بارقة الأمل للشعوب المستضعفة في كل العالم كي يتحرر من كافة أشكال الظلم التي تحيط بهم وتحكمهم.. وقد تجلى دور الثورة الإسلامية في نشأة هذه المقاومة الشريفة من خلال المشاركة الفعلية في تدريب عناصر حزب الله على العمليات العسكرية عن طريق حراس الثورة الإسلامية الذين أوفدهم الإمام الخميني من أجل الأخذ بيد إخوانهم في لبنان ومساندتهم في جهادهم ضد الغدة السرطانية إسرائيل كما كان يدعوها لقد كان لأولئك الحراس إلى جانب السيد عباس الأثر البارز في تحويل المجتمع اللبناني إلى مجتمع مقاومة وضع أساساتها السيد عباس وقام ببنائها بدعم معنوي ومادي كبير من الثورة الإسلامية التي كانت تطرح مبادىء الحقوق واستردادها والتي ناضل أبو ياسر من أجل تثبيتها ركيزة أساسية من ركائز الثورة الإسلامية التي أشرقت

شمسها لاحقاً في لبنان. تلك المقاومة الشريفة التي أبصرت النور من خلال دعوة الإمام الخميني إلى ولادتها بعد أن كان قد أسس لها كما ذكرت لك سيد شهدائها..

ولأن الجهاد كان يتطلب دعامة أساسية لتحصيل أهدافه فقد تبنى السيد عباس الموسوي مبادىء سامية تشكل ركيزة أساسية في عمله الجهادي فبادر إلى تعميم الجهاد المشترك من خلال الدعوة إلى تحقيق وحدة إسلامية وكان يطالب ويدعو إلى ذلك في كل مناسبة خطابية له حتى أنه كان يلجأ إلى إقامة مثل هذه المناسبات دون أن يكون لها سبب معين من أجل أن يعمم مفاهيم الجهاد المشترك وآثاره الإيجابية على الأمة الإسلامية جمعاء كذلك عمد السيد إلى تأمين الغطاء الشعبي للمقاومة من خلال نشر مبادئها وأهدافها السامية وقد أدرك هذه الأهداف نتيجة للثقة التي يكنها الناس له.. فكل من عرفه عالماً.. جليلاً لن يفوته إعلان التضامن مع هذا المجاهد الثائر ومع المقاومة الشريفة التي أنشأها وأعلن إشراقة شمسها في عام ١٩٨٢ أثناء اجتياح العدو الصهيوني لمدينة بيروت.. ذلك السيد الذي حمل هموم فلسطين المحتلة وأرضه زاد همّه احتلال إسرائيل لأرضه

ووطنه الذي أحبه بأفراحه وأتراحه ولذلك بدأ العمل جدياً لتشكيل مقاومة شريفة قادرة على تحمل أعباء الجهاد وتحمل المسؤولية في تحرير الأرض فقام بفصل العمل المقاوم عن العمل السياسي بمعنى أنه عارض تسخير المقاومة لأجل تحقيق أهداف سياسية بل العكس كان ينادي بتسخير العمل السياسي من أجل خدمة المقاومة..

كان لهذه المقاومة ميزات سامية أبعدتها عن النزعات الداخلية التي كانت سائدة في لبنان وكانت تطلعاتها وسلاحها موجهاً ضد العدو الصهيوني دون غيره.. لقد جاهد السيد من أجل الحفاظ على كرامة هذه المقاومة فحماها من براثن الحرب الأهلية التي كان لبنان مسرحاً لها.. وكم من مرة باءت بالفشل كل المحاولات التي كانت تهدف إلى إشراك حزب الله بهذا الاقتتال الطائفي. هذا الحزب الذي تكنّى بالله لم تفلح كل المؤامرات بتغيير وجهته القتالية نحو الداخل.. واستشهد هنا ببعض الجمل التي ألقاها والدك في أحد خطبه يتحدث فيها عن هذه الميزة التي انفرد بها حزب الله حيث قال حينها:

«بأن المقاومة الإسلامية رسمت طريقاً ومعجزة المقاومة الإسلامية التي رسمت هذا الطريق أنها خرجت

من قلب الفتنة اللبنانية، لبنان الذي وقع في سنة ١٩٧٤ في فخ الفتنة، وحدها المقاومة خرجت من قلب هذه الفتنة وابتدأت ترسم للناس طريقهم الحقيقي، طريق «مش حرب الزواريب» لا طريق حرب الطوائف مع بعضها ضد بعض وإنما القتال الحقيقي أن تتوجه كل البنادق إلى أمريكا وإسرائيل هذا درس المقاومة الإسلامية طيلة هذه الفترة».

وفعلاً أفلح المعلم في تلقين هذا الدرس وتعميمه على كافة المستويات في حزب الله.

فقد سعى من أجل صقل شخصية المجاهد بالهوية الأساسية للمقاومة وبالتالي التركيز على أن عملية الجهاد يجب أن تبقى سيفاً مسلّطاً على العدو الإسرائيلي دون أن يشغله الانخراط في النزاعات الداخلية والطائفية..

ولأن السيد كان منذ البدء المنارة التي كان يهتدي بها المجاهدون إلى الثقة بالله والثقة بأن النصر لا ريب قريب. فقد كان خضوعه شخصياً للتدريب العسكري في ذلك الوقت حافزاً جديداً لبث الروح الجهادية في نفوس المحيطين به ولا سيما وأن مؤهلاته البدنية لم تكن تسمح

له بالخضوع لمثل هذه التمرينات بالرغم من ذلك كان من أول المواظبين على هذه الدروس العسكرية ولعلك تجد في هذا جواباً على سؤالك حول صغر سني فأنا أبقى شاباً رغم تقدم ضيوفي في العمر.

لقد أصرّ السيد عباس على تواجده في جبهات القتال إلى جانب المجاهدين فبعد أن كان رفيقاً لهم في تدريباتهم.. شاركهم خنادقهم ليكون الحاضر دائماً لطمأنتهم وشحذ عزيمتهم.. لقد كان دائماً يشعرني بأنه ما زال ذلك الفتى الذي قابلته في ريعان شبابه.. فروحه الجهادية لم يخبُ نورها منذ ذلك الحين.. بل كانت تزداد تألقاً كلما ازداد في العمر.

فذلك العابد الزاهد لم يحاول أن يحتكر صحبتي لنفسه ولشعبه بل وضع نتاج صداقتنا المشتركة في خدمة جميع المستضعفين انطلاقاً من إيمانه بأن المقاومة لا يجب تحجيمها ضمن الإطار الوطني لأنها بذلك ستقف عند الحدود اللبنانية فقط وفعلاً تحققت أهداف السيد عندما أصبحت التجربة الغنية لحزب الله في صراعه مع إسرائيل تشكل حافزاً فلسطينياً للمقاومة أيضاً وفعلاً بدأت بشائر هذه التجربة بالوصول إلى الأراضي المحتلة في

فلسطين فكانت المنارة لانتفاض المستضعفين هناك وثورتهم في الانتفاضة الأولى لهذا الشعب المقهور عام ١٩٨٧.

شكلت هذه الانتفاضة في ذلك الوقت ضربة قاسية للعدو الصهيوني الذي حاول بشتى الطرق إخمادها عن طريق القضاء على المسبب الرئيسي لها ولكنه لم يفلح فكانت أجساد المجاهدين ونفوسهم حاضرة لتتحدى إلى جانب غطرسة العدو وغدره برد الشتاء وحر الصيف في الأماكن التي كانوا ينتشرون فيها لإحباط أي عملية تهدف إلى التوسع الإسرائيلي. لم يكتف السيد عباس بالتركيز على الجانب الدفاعي في المقاومة بل تخطاه إلى امتلاك زمام المبادرة في الهجوم وذلك ما لم تشهده كافة مراحل الصراع العربي الصهيوني.. فكما ذكرت في البداية أن والدك أصرّ على وحدة إسلامية وعلى الجهاد المشترك لاسترداد حقوقها المغتصبة وهذا ما يفسر انقلاب معادلة الصراع العربي الصهيوني.. لمصلحة العرب على يد حزب الله.

لقد غيّرت المقاومة الإسلامية مفاهيم كثيرة مغلوطة فقهرت أساطير ذلك الجيش المطاطي الذي بولغ في تكبير

حجمه من خلال الدعاية الصهيونية التي كان يسوقها والتي كان السيد عباس واعياً لخطورتها فعمد إلى الدعوة لكي يتحول كل مسلم إلى مثقف إعلامي عندها فقط نكون خير أمة أخرجت للناس. فقد كان الإعلام العربي ضعيفاً أمام الإعلام اليهودي الذي شمل معظم أنحاء العالم لذلك دعى سماحته كل مسلم إلى تحمل مسؤولياته عن طريق المساهمة في نشر حقوقنا ومبادئنا التي كانت تنشط في تشويهها الإذاعات والمحطات الغربية الممولة من الكيان الغاصب وهنا يتضح لنا أننا أمام شخصية متكاملة فحتى هذه المسألة لم يقف السيد أمامها موقف المراقب بل لفت إلى شدة خطورتها وإمكانية ردعها عن طريق تفعيل الدور الإعلامي الحربي للمقاومة.. الذي بات ركناً أساسياً من أركانها فكان تصوير عمليات الاقتحام والمواجهة التي يشنها مجاهدو حزب الله ذات دور بارز في إظهار الجبن الصهيوني وسهولة اختراق مواقعه إلى جانب تفوق المقاومة في كافة النواحي رغم بساطة السلاح المستخدم مقارنة مع الأسلحة الثقيلة التي يمتلكها الطرف الآخر.

لقد شكل الإعلام الحربي انتصاراً جديداً للمقاومة

الإسلامية من خلال التأثير على المجتمع الإسرائيلي الذي كان يشهد للمرة الأولى الإخفاق والخزي والعار الذي لحق بجيشه على شاشة تلفزيون المنار الذي كان له الدور الرائد في تعميم مبادىء حزب الله ونشرها إلى جانب إثارة حالة الرعب في صفوف الجيش الصهيوني من خلال الإعلانات التي كان يبثها ويتوعد بها بدفنهم أحياء في هذه الأرض التي قدر لها أن تكون مقبرة لهم.. وهنا تثبت أهمية الطرق الجهادية التي سخرها السيد عباس لخدمة المقاومة وتحقيق أهدافها.. فعادة يلتزم المجاهد بدور جهادي محدد.. كأن يأخذ موقعاً قتالياً في الجبهات أو يشارك في البنية التنظيمية للمقاومة ولكن أبا ياسر حقق التكامل في مسيرته الجهادية فكان المخطط والمنفذ والمعلم فاستحق بكل جدارة لقب المجاهد.

بعد هذا الحديث الموجز عن السنوات التي قضيتها مع والدك.. اعذرني على تقصيري في عدم التفصيل ولكن أقف عاجزاً أمام تجربته الجهادية الغنية التي كسبها وأكسبها للآخرين فأنا على ثقة دائمة بأن الشرفاء أمثال والدك أسمى من وصفهم مهما طال الكلام فعندما يسطّر المجد بدمائهم الشهادة، حتى أنا أمسي عاجزاً عن إيفائهم

حقوقهم.. فائذن لي أن أدعوك لزيارة آخر أرض رافقت والدك إليها وفيها أهديته أثمن الهدايا التي أقدمها.

ـ لطالما تواجدت في هذه الأرض الطيبة التي ذكرتها يا جهاد منذ قليل.. لطالما قبلت ترابها المرتوي بدماء الغوالي.. كنت أصرّ على زيارتها وما زلت ففيها أشتم عبق الجنة في كل مرة أزورها ألتقي الأحبة الذين اختارتهم لتزكي وتطهّر بدمائهم ترابها الذي دُنس بأقدام المفسدين في الأرض.. ها أنا اليوم أعود إليها مجدداً ها أنا اليوم أعود لألتقيك يا أبا ياسر وألتقي أمي الغالية وأقبل جبينك يا حسين. ها أنا أعود ولكني برفقة آخر من شهد ابتسامة الغالي هيا يا جهاد واستعجل.. فأنا مشتاق لأحبتي.

كان جهاد ينصت إليّ وهو يرسل إليّ ابتسامة يخفي وراءها حسرة وألم لم يروقني ذلك فسألته.. أراك مهموماً فهل حصل مكروه ما؟

فأجابني وعيناه تغتسلان بغيث شباط: لا أدري ما الذي أصابني فمنذ قليل دعوتك لزيارة آخر محطة رافقت والدك فيها وأنا أفخر بأجمل هدية قدمتها له في تلك

الأرض التي ودعته فيها ولكني الآن أستعيد كل اللحظات التي كنت أستعدُّ فيها لفراقه.. لا أخفي عنك أني حاولت مراراً تأجيل ذلك لكني لم أفلح فالأمانة الإلهية كانت تحتّم عليّ إيصال طلب السيد عباس الموسوي إلى ربه لقد كان يدعوه ليلاً ونهاراً قائلاً:

«إلهي إن أنت أصررت على معاملتي بعدالتك ومحاسبتي على ما اقترفته كل جارحة من جوارحي فأطالبك أن ترزقني شهادة قلّ نظيرها يتفتت فيها جسدي وتنال كل جارحة من جوارحي ما تستحقه من القصاص والعقوبة.. وبعدها يا رب يصبح حتماً علي أن تسكنني بجوارك وجوار أوليائك.. أقولها حتماً لإيماني بعدلك فضلاً عن إيماني بلطفك».

- أقسم لك بأني عاجز حتى الآن عن الإلمام بالجوانب السامية التي اكتملت فيها شخصية والدك والتي تنفرد بها شخصيات الأولياء والصالحين.. عندما كان يتوجه بهذا الدعاء إلى الله عز وجل كنت أرجوه بأن يرأف بجسده فكان يعاتبني قليلاً: من شهد ما أصاب جسد الحسين عليه السلام عندما استشهد يطلب مني بأن أرأف بجسدي.

ـ يا الله في هذه اللحظات يخيّل لي أني، أفقده من جديد.. لست أنانياً ولست جاهلاً فأنا أدرك أي الفائزين والمؤتمنين ظفر به ولكني أشتاق لصحبته.. سامحني واغفر لي إن بدوت ضعيفاً ولكن حزني يتجدد كلما مررت في هذه الطرقات.. فأريج ربوعها يحيي فيّ أعواماً مضت دون أن تمضي محبة زوارها.

ـ كنت أصغي لحديث جهاد وشوقي يزداد للقائك يا سيد الشهداء..

كنت أتساءل عن حجم التوفيق الذي خصه الله بك حتى يقف الجهاد نفسه حزيناً أمام رحيلك.

إذا كان جهاد يشعر بحسرة شديدة لفقدانه بطلاً من أبطاله فهل تراه يدري أي حزن يُحيط بي وأنا الذي فقدت برحيل والدي الأب والصديق والنبيل والمعلم والمجاهد.

ـ يطول الكلام عما فقدته في رحيل أبي لذلك أختصر كل ذلك في التعرف عما يبلسم جراحي ويساندني في إكمال المشوار الذي خطّه والدي.. هيا يا جهاد.. ها هي مشارف بلدة جبشيت تطل علينا هيا وحدثني عن زيارتكم لها.

ـ قبل أن أتابع أود أن أصدقك القول بأنك تشبه

والدك إلى حد كبير فقد كان لا يوصد قلبه إلا في وجه اليأس من رحمة الله..

- اعذرني من جديد وها أنا أكمل مشواري معك في بلدة جبشيت بعد أن كنت أهم بختامه مع والدك في تلك البلدة أيضاً.

- إلى هنا وصلت مع السيد عباس. لقد كنا في هذا المكان الذي نقف أمامه الآن على موعد لاحتفال يقام لإحياء الذكرى السنوية لاستشهاد الشيخ راغب حرب في هذا المكان بدأت مراسم هذا الحفل بتلاوة من الذكر الحكيم بعد ذلك ألقى أحمد راغب حرب كلمة في ذكرى استشهاد والده وعندما انتهى وقف والدك وصافحه مهنئاً ثم سأله هل تريد شيئاً من والدك؟

فنظر أحمد إلى السيد عباس مبتسماً دون أن يدري أن السيد كان يعني ما يقوله..

تقدم بعد ذلك السيد الموسوي وألقى كلمة الوفاء لصاحبه ورفيق علمه وجهاده وهو يعلم بأنه في طريقه ليصبح رفيق شهادته..

بعد أن انتهى الاحتفال اجتمع جميع الحاضرين حول سماحته يشكون له همومهم ومشاكلهم.

فكان يبادلهم محبتهم بالمودة وسماع شكواهم بالرغم من خطورة تواجده بين الجموع وخاصة أن طائرات الاستطلاع الصهيونية كانت تحلق في الأجواء.. لم ترهب السيد هذه التهديدات بل رافق الجمع إلى روضة الشهداء في البلدة حيث قرأ الفاتحة على روحهم الطاهرة.. ثم مدَّ يده اليمنى ماسحاً الغبار عن قبر شيخ المجاهدين ليمسح بها جبهته الشريفة ومن جنة الشهداء توجهنا معاً إلى منزل شيخهم حيث تناولنا طعام الغداء مع أسرته وبعد بلدة جبشيت انتقلنا إلى بلدة الشرقية حيث منزل أهل الشهيد أحمد شعيب مروراً ببلدة كوثرية السياد التي ما إن خرج موكبنا منها ليشرف على بلدة تفاحتا حتى كانت ثلاث طائرات استطلاع للعدو تتبع الموكب وتلاحقه في هذه اللحظات كنت أدرك أن موعد تبادل الهدايا بات قريباً جداً.

حاولت من جديد أن أحذّر السيد عباس ولكني خشيت عتابه فأوعزت ذلك لأحد مرافقيه الذي نبهه إلى وجود هذه الطائرات فما كان منه إلا أن خاطبه قائلاً:

«أتخاف الموت، من يريد الموت لا يهمه إذا كان الموت قريباً منه أو بعيداً عنه». ثم نظر إليّ مبتسماً بنظرة العاتب قائلاً:

«لقد مكثت معك مدة طويلة وكانت هذه المدة كافية لأدرك أنك تفي بالأمانة التي استودعها الخالق عز وجل بين يديك وما شهدتك يوماً غير مؤدٍ لها.. أما آن الوقت لأداء الأمانة».

عندها نظرت إليه بخجل يصحبه الحزن والأسى قائلاً: «أنت محق.. لقد حان الوقت، يعزّ عليّ فراقك أيها الغالي ولكن يخفف حزني بأني سأهديك ما كنت تطلبه وترجوه».

مباركة لك الشهادة.. مباركة لك رياض الخلد.. في هذه الأثناء كانت طائرات العدو تقصف الموكب الذي تبادلنا فيه الهدايا فالسيد أهداني الدم وأنا أهديته الشهادة.. كان مشهداً لا أنساه.. لقد احترق جسد السيد وتناثر أشلاء تماماً كما كان يدعو لله سبحانه وتعالى وحتماً فإن ديار والدك الجنة «أقولها حتماً لإيماني بعدل الله فضلاً عن إيماني بلطفه».

ـ سلام إليك أيها الصديق الغالي وأنت في رياض الله.

ـ سلام إليك أيها الحي الذي لم يمت بل سما بحياته إلى الشهادة أرجو أن تبارك مشواري مغ ولدك وأن تسامحني إن كنت قد قصّرت في ضيافته وهنا تدخلت قائلاً: «لقد أكرمتني بضيافتك يا جهاد..» لن أنسى ما حييت جودك وشجاعتك.. لن أنسى أبداً أي الهدايا يتبادل الشرفاء.. ينبغي عليك أن تكون فخوراً بوسام الشرف الذي قلدته لوالدي.. شكراً لك على كل شيء.. أما الآن فقد جاء دوري كي أستأذنك في المغادرة فثمة احتفال هام ينتظرني وأنت من أول المدعوين لحضوره فحتى تلك الساعة.. أراك بخير وإلى اللقاء.

ها قد انتهت هذه الرحلة التي جمعتني بأصدقاء والدي.

ها قد انتهى هذا المشوار الجميل الذي عشتُ بلحظاته أجمل الذكريات.

والدي العزيز لقد امتلأت ثنايا الروح بشهادات الفخر والكرامة.

فبحسن خلقك وجودة علمك وجهادك حصلت أسمى الأصدقاء.. بوركت في آخرتك كما كنت في دنياك..

أما الآن فلا أدري إن كان يحق لي بشهادة أخطّها عنك وقد خطّها قبلي سادة الشرفاء.. فبيني وبين نفسي يخالجني شعور بأني عاجز عن ذلك ولكني أتوق لإرسال تحية لك في ذكرى استشهادك.

لذلك إليك أيها الغالي أرسل هذه الكلمات:

والدي العزيز: لقد كنت رائعاً.. منك تعلمت الإيمان بالله والثقة المطلقة به. فكثيرون هم الذين يلقّنون أولادهم الحروف الأولى للأبجدية ولكن قلة منهم يهتمون بتعليمهم وتنشئتهم على أبجدية الحق.. تلك الأبجدية التي تبدأ بحرف الألف وتنتهي بحرف السين.. تلك الأبجدية التي تبدأ باسم الله وحمده وتنتهي بالاستعانة به.

بوركت يا والدي معلماً يقيني بدروسه ظلمات الدنيا والآخرة.

بوركت يا والدي عالماً فاضلاً ومجاهداً ثائراً تهديني بحُسن خلقك وروعة نضالك إلى ملاذ الخير والطمأنينة.

هيا يا شباط واستعد أمجادك ففي أيامك ولد الربيع ولم يرحل.

هيا يا شباط واشهد عرس الانتصار الذي حققه حزب الله والذي لطالما آمن بتحقيقه سيد شهدائه.

هيا يا شباط واشهد الصحوة الجديدة التي بشّر بها والدي لشعبنا في فلسطين بعد أن كانت المقاومة الإسلامية قد ساهمت في بزوغ فجرها الأول.

أخط هذه الكلمات أيها العزيز وصيحات أصدقائي تناديني.

ياسر.. ياسر.. أسرع لقد بدأ الاحتفال.

أبي الغالي في كل عام أحاول أن أخط كلمة ألقيها في ذكرى استشهادك..

تسرقني الساعات فأبدأ بخط سيرة كاملة.. في هذا العام أسعدتني جداً شهادات أصدقائك وبالرغم من ذلك سامحني واغفر لي إن كنت قد أوجزت أو قصّرت في الكلام عن ناحية ما فأمام الشهداء تعجز الكلمات عن الوصف ليبقى كلام الله وحده حاضراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. صدق الله العليّ العظيم

- أبا ياسر أي كلام يحق لي أن أقول بعد كلام الله.

- لا يسعني سوى أن أجدد وعدي لك بحفظ المقاومة وضمان استمرارها والوفاء لها.

- لا يسعني سوى أن أدعو الله بأن يكرّمني ولو بجزء بسيط من مسيرتك المشرفة..

وأخيراً ولأن كرامة الشهادة لا تنتهي بالكلمات أختم كلمتي بالقول: هنيئاً لك يا سيدي.. لقد فزتَ وربُّ الكعبة.

البداية

عند الفجر

سيدخلون المدن الرائعة بصبر متأجج

سيشرق وجه الحق

تتفتح سواسن الأمل

ويقطع العوسج المزروع لتروى أرضنا

بدماء من حرثوها

لتدفع الجذور القناع الظالم

عند الفجر

سترمم أشلاؤهم التاريخ

ستسدل ستار مسرحية العصر الساخرة

وتوقف نزيف العين

وترسل من رحم الأمة صرخة جنين

لن تنساها الأوطان الزائفة

فشهداؤنا رحيلهم ربيعي

وطلعهم سينبت في كل بقعة
فالذين يغتالون غدراً
لا بد أن تبعثهم الحقيقة يوماً
ولا بد أن ترصف أجسادهم
نجوماً لطريق الضياء
عند الفجر
لن نخاف فزّاعاتهم
لن نخاف موتهم
فحبة القمح تسمو بالموت لتورق من جديد
عند الصباح
دخلوا المدن الرائعة
مسلحين بصبر متأجج
يبشّرون بطروادة الحق

محمد مأمون اللحام